محاضرة

# "العلاقات بين الحضارات: بين الحوار والصراع، في المرحلة الراهنة"

الأستاذة الدكتورة/ نادية محمود مصطفى–أستاذ العلاقات الدولية–كلية الاقتصاد والعلوم السياسية–جامعة القاهرة

تقديم الأستاذ الدكتور/ على جمعة محمد

يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٣/١/٢١

بقاعة رواق المعرفة – مركز الدراسات المعرفية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

# المحاضـــــرة

## تقديم أ.د/ علي جمعة

**بسم الله الرحمن الرحيم.**

في ثانية محاضرات الموسم الثقافي لمركز الدراســات المعرفيــة، نســتمع الآن للأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى، حول موضوع العلاقات بين الحضارات، وهو مثار معايشة وجدال بين العلماء والمفكرين في الوقت الحالي، ونعيش آثاره في هــذا العــالم شديد التدهور وشديد التغير، فلتتفضل.

## عرض أ. د. نادية محمود مصطفى

**بسم الله الرحمن الرحيم.** السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتوجه بالشكر لمركز الدراسات المعرفية، لدعوتي لإلقاء هذه المحاضرة حيــث إنني أمثل جزءًا من هذا المركز، وتسعدني المشاركة في نشاط المركز وفي موسمه الثقــافي لهذا العام.

ومحاضرتنا اليوم بعنوان **"العلاقات بين الحضارات: بين الحوار والصــراع، في المرحلة الراهنة"**. أعتقد أن هذا العنوان ليس بجديد على حضراتكم بصــيغته هــذه أو بصيغ أخرى مقاربة له، فهو متواتر ومتردد كثيراً في الآونة الأخــيرة. ســواء علــى صفحات الجرائد، أو في وسائل الإعلام المختلفة المرئية أو المسموعة، أو في الندوات، أو الكتب، أو المحاضرات، والدوريات العلمية، فهو دائم التكرار.

ولعل كثيرًا من الحاضرين باختلاف تخصصاتهم، قد اقتربوا من هذا الموضوع، سواء بالنقاش أو الاستماع، أو الحوار أو شيء من هذا القبيل.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالموضوع في نظري ليس بجديد على الأسماع، ولا على الأذهـــان في الفتـــرة الحالية، مهما اختلف الحاضرون في التوجه، والثقافة، والبناء المعرفي. فالموضوع مطروح على الجميع.

وكنت قبل الحضور، في حيرة من أمري، عما سأطرحه عليكم. ولذا رأيت أن تكون هذه المحاضرة ليست رؤية فكرية خاصة أطرح فيها تصوري ورؤيـــتي الفكريـــة حول هذا الموضوع المتواتر وهو "العلاقات بين الحضارات: صراع أم حوار؟". بقدر ما أعرض خبرة أطرحها على السادة الحاضرين بجوانبها المعرفية والمنهجية المختلفة، ومحاولة إبراز أهميتها.

هذه الخبرة الشخصية في هذا المجال اتسمت بالمرحلية، وهذه المرحلية في هـــذا المجال هي التي سوف تحدد منهج حواري معكم في هذه المحاضرة.

ومرحلية الخبرة الذاتية التي مررت بها في هذا الأمـــر، وهـــي العلاقـــة بـــين الحضارات، هل هي صراع أم حوار؟ قد يتبادر إلى حضراتكم أنها تعـــود إلى أحـــداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١، وما تلاها من أسئلة كثيرة تتصل بحقيقة البعد الثقافي الحضاري في العلاقة بين عالم الإسلام والمسلمين، والعالم الغربي. ولكن الواقع أن هذا الأمر ليس بصحيح، لأن من اهتم بالعلاقة بين الحضارات ونمطها، هل هي حوار أم صراع؟ لم يبدأ هذا الاهتمام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١، ولكن قبـــل هذا. وأحد هذه النماذج، خبرتي الشخصية كباحثة ومتخصصة في مجال علوم العلاقات الدولية في نطاق العلوم السياسية.

لقد انقسمت مرحلية هذه الخبرة إلى عدة مراحل؛ وعدة خـــبرات، هـــي في الواقع خبرات أكاديمية ونحن نبحث في نظرية العلاقـــات الدوليـــة، وفي العولمـــة، وفي خصائص ما بعد الحرب الباردة. فكان هناك بروز واضح للبعـــد الثقـــافي في العولمـــة، وموضعه من الأبعاد الأخرى السياسية، والاقتصادية، والعسكرية.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك مبادرات دولية عديدة على الساحة الدولية تهم منطقتنا العربية، مثل الشراكة الأوربية المتوسطية، وهى لها أبعاد ثقافية وحضارية واضحة جداً.

في نظرية العلاقات الدولية، من الناحية النظرية البحتة، نجد أن الاهتمام بالبعد الثقافي وتأثيره على العلاقات الدولية بعد البعد السياسي، والاقتصادي، والعسكري، واضح الدلالة. بمعنى آخر أن الخبرات الأكاديمية، وزخمها خلال عقد سابق، من التسعينيات حتى الآن، تشهد بأن موضوع العلاقة بين الحضارات ممثلاً في البعد الثقافي الحضاري في دراسة العلاقات الدولية حاضر ومطروح بقوة.

في مرحلة أخرى من الخبرات، وهي التفاعلات المؤسسية، أي التعامل مع مؤسسات إسلامية اهتمت بهذا الموضوع، أو بدأت تهتم به- ليس فقط منذ الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١- ولكن قبل هذا، مثل رابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والإيسيسكو، هذه المؤسسات بدأت تهتم بالموضوع وتدرسه وتتناوله وتطرحه، منذ السنوات الأخيرة للقرن العشرين، ومع بدايات القرن الحادي والعشرين.

ثم هناك مجموعة أخرى من الخبرات البحثية المنظمة، التي تحاول أن تبحث هذا الموضوع، كما حدث مثلاً في نطاق حولية أمتي في العالم، التي يصدرها مركز الحضارة للدراسات السياسية، وبحوث وأنشطة برنامج حوار الحضارات، التابع لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة وأنشطته.

هذه المحطات الأكاديمية والتفاعلية مع المؤسسات، والخبرات البحثية والفكرية، تبين أن موضوع الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات، بين الصراع والتعاون، ليس مرده فقط أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ولكنه اهتمام يرجع إلى ما قبل ذلك التاريخ بكثير.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدل كل هذا على أن هناك وزناً متزايد للأبعاد الثقافية والحضارية في عالم اليوم، يشهد تطوراً وصعوداً ملحوظاً. ومن هذا المنطلق كان اهتمامي بهذه الأبعاد، انطلاقاً من الجهود المستمرة في نطاق محاولة تقديم وتطوير رؤية حضارية لدراسة العلاقات الدولية المعاصرة. وبالتالي هذه المرحلية، أو التطور الذي عايشته كباحثة أو متخصصة ودارسة للعلاقات الدولية مثلت زخماً لديّ في هذا الموضوع، وهو ما فرض علي موضوع المحاضرة اليوم.

وقد اخترت طريقة محددة للحديث حول هذا الموضوع بناء على هذه الخبرة. وهي أني سوف أطرح عليكم ثلاثة أسئلة، أحاول الإجابة عنها، ومن خلال الإجابة أتصور أني سوف أقدم الأفكار حول موضوع محاضراتنا.

**السؤال الأول:** لماذا الاهتمام بهذا الموضوع؟ أي لماذا الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات بين الحوار والصراع؟ وما موضع هذا السؤال في السياق الأوسع للعلاقات الدولية الراهنة، والنظام الدولي الراهن، ووضع العالم الإسلامي في هذا النظام بصفة خاصة؟

**السؤال الثاني:** إذا كان هناك اهتمام بهذا الموضوع، فما هي حالة الاهتمام بهذا الموضوع؟ وهل يقدم سمات وخصائص عن طرق اقترابنا في العالم الإسلامي فكرياً، ومعرفياً، ومنهجياً، وعملياً، من هذا الموضوع الذي يفرض نفسه وتحدياته علينا كما سوف نرى من خلال ثنايا المحاضرة؟

**السؤال الثالث:** ما تصوري كباحثة متخصصة في العلاقات الدولية تحاول تقديم رؤية حضارية في مجال العلاقات الدولية؟ أي كيف أتصور إمكانيات الحوار في عالم ونظام عالمي يموج بالصراع؟ وهذه المعضلة التي تواجهنا نحن المسلمين في النظام



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالمي الذي يموج بالصراعات والتحديات لنا، ونواجه فيه بآفاق وإمكانيات للحوار، هل هناك حقاً هذه الإمكانيات وهذه الآفاق؟

سأحاول أن أقدم رؤيتي الخاصة في هذا الشأن، بعد أن أطرح على حضراتكم، لماذا ثار الاهتمام بموضوع العلاقة بين الحضارات، في العالم المعرفي، والمنهجي، والحركي، والفكري والعملي الآن، في خلال الخمس عشرة سنة الماضية. وإذا كان له هذا الاهتمام، فكيف قُدم هذا الموضوع في مختلف الدوائر البحثية والفكرية والأكاديمية، لنقيم وضع الكتابة في هذا الموضوع؟

وأخيراً أحاول أن أجتهد وأقدم رؤية ما من جانبي على ضوء هذا التجوال التشخيصي، التقييمي.

فإن بدأت بأول هذه الأسئلة الثلاثة وهو لماذا الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات؟ وما هو السياق العام الذي أفرزه في مجال العلاقات الدولية؟ وما اهتمامات المثقفين والمفكرين المعاصرين في عالم اليوم الذي نعيشه بتحولاته المختلفة، وفي قلبه وضع أمتنا الإسلامية بتحدياتها المختلفة؟

هل هذا الاهتمام يقترن بأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وبتداعياتها المستمرة حتى الآن؟ هل هذه الأحداث هي السبب الذي فجر هذا الاهتمام؟ نحن نتابع أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تفسيرات وقوعها، والحديث عن دلالتها، وعواقبها بالنسبة للعالم الإسلامي، وكذلك بالنسبة للنظام الدولي، وبالنسبة لعلاقة العالم الإسلامي بالغرب، وبالنسبة لآثارها على الوضع الداخلي بالدول الإسلامية، بالنسبة لأمور كثيرة يقدم حولها تحليلات وتفسيرات من واقع رصد الخطابات الغربية، والعربية الإسلامية، تبين هذه المتابعة أن الموضوع كما يجري الآن ليس أمراً يتصل فقط بالصراع السياسي، العسكري، الاقتصادي، التقليدي الذي دُرج على الاهتمام به ودراسته،



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن قُفِز إليه، وبه، ومعه، في إطار له أبعاده الثقافية والحضارية، بمعنى: هل الاختلافات الجارية على الساحة العالمية، وفي قلبها وضع الإسلام والمسلمين، ترجع إلى تأثير الاختلاف الثقافي والحضاري، وفي قلبه العقيدي بين عالمنا وبين عالم الآخر، أو الغرب؟ هل هذا الآخر أي الغرب الآن يقترب ويهتم بعالم الإسلام والمسلمين، ليس من معيار المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية البحتة، ولكن بمعيار آخر أضيف إلى المعايير السابقة وهو المعيار الثقافي الحضاري العقيدي. هذا سؤال مهم بطبيعة الحال.

لقد قفز الاهتمام بموضوع العلاقة بين الحضارات، هل هو حوار أم صراع؟ نتيجة أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها. وأذكر هنا أن هذا الاهتمام "قفز"، وليس "وُلد" الاهتمام بهذا، لأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها المستمرة حتى الآن كانت "كاشفة"، وليست "منشئة" لأهمية الحديث عن العلاقة بين الحضارات في العلاقات الدولية الراهنة، ومن ثم فإن العامين الماضيين يمثلان قمة منحنى، وزخماً تراكم وتطوَّر خلال عقد من الزمان على الصعيدين الفكري والحركي؛ اهتم بطرح التساؤل: ما العلاقة بين الحضارات، هل هي حوار، أم صراع؟

هناك ثلاث مجموعات من الأسباب تبرر صعود الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات؟ ليست فقط منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بل قبلها كما ذكرت آنفاً:

**المجموعة الأولى:** تتصل بحالة التفكير، وحالة البحث في مجال العلاقات الدولية بصفة عامة.

**المجموعة الثانية:** تتصل بالتغيرات التي يمر بها الغرب في علاقته بالعالم.

**المجموعة الثالثة:** تتصل بالتحديات التي تواجه العالم الإسلامي.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نحن نعرف بالنسبة للمجموعة الأولى، وهي بروز الاهتمام بالبعد الثقافي في الدراسات النظرية. وأحب أن أشير إلى شيء مهم، هو أن الدراسات النظرية في الغرب وعالم الآخر ليست ترفًا، كما أنها ليست شيئاً مجرداً منفصلاً عن الواقع، ولكن دائماً التنظير وكانت الأفكار التي تقدم ضمن الدوائر البحثية، والأكاديمية، والفكرية الغربية، متصلة من قريب أو من بعيد بمجال الحركة.

ومن ثم لا نتعجب على الإطلاق أن نجد في أدبيات نظرية العلاقات الدولية الغربية، والكتابات عن العلاقات الدولية خلال السنوات العشر الماضية، كيف قفز موضوع الثقافة والدين والحضارة بطريقة كبيرة جداً لم تكن ملحوظة من قبل، بالمقارنة مثلاً بالحديث عن أهمية الاقتصاد وتفاعلات الاقتصاد منذ أكثر من عشرين عامًا، وبالمقارنة أيضًا بما كان منذ أكثر من ثلاثين أو أربعين عامًا سابقة حيث كانت القضايا العسكرية والأمن العسكري هي التي تحوز الاهتمام في مجال العلاقات الدولية.

أريد أن أقول إن هناك شداً وتجاذباً بين الفكر والنظرية من جانب، وبين الحركة التي يقودها الغرب بمكوناته للنظام الدولي من جانب آخر، وبالتالي يحاول دارس العلاقات الدولية، وخاصة الذي لديه اهتمام بالرؤية الحضارية والأبعاد الثقافية والحضارية، أن يرصد هذا التغير في مجال الاهتمامات. إن الثقافة والحضارة أياً كانت التعريفات السائدة الآن لهما، وموضع الدين منهما، شغلت حيزاً كبيراً في مجال الدراسات النظرية في العلاقات الدولية، وفي علم الاجتماع بصفة عامة في الغرب، وأفرز ذلك تجدد الاهتمام بالأبعاد الثقافية والحضارية، وفي قلبها ما يتصل بالدين، ويأتي هنا طرح هنتنجتون. وطرح هنتنجتون، الذي تلقفناه نحن في الدائرة العربية، كطرح ثقافي مجرد، بالنسبة لي لا أتلقاه بهذه الصورة؛ بل أتلقاه كطرح أكاديمي في العلوم السياسية، في النظم المقارنة، يحاول أن يقدم رؤية عن العالم تحركها الأبعاد الثقافية



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحضارية، محورها موضوع صدام بين الحضارات، أو بين الشعوب، أو بين الجماعات المنتمية إلى حضارات مختلفة. ورؤيتي لذلك أنها تمثل تغيراً في طريقة دراســة العلاقــات الدولية، قدَّم إلى الأمام بعداً كان لدى الغرب مهملاً ودُفع إلى صدارة اهتمامه البحثي، وأتساءل: لماذا هذا الاهتمام الذي امتد قبل حوالي عشر سنوات سابقة؟ فليس ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر وما بعده تحقق لنبوءة هنتنجتون، في اعتقادي لــيس هــذا صحيحاً، بل هو طرح وتصور فكرى مبني على فهم معين لحقائق العالم وتطوره خلال الخمسين سنة الماضية، واحتمالات التطور المقبلة على النحو الذي يخدم أهداف ومصالح الغرب. ومن ثم فإنني لا أقرأ فكْر هنتنجتون على أنه مجرد شخص يحذر مــن الإســلام والمسلمين، وأنهم مصدر الخطر الجديد للغرب، بل أقرأ -ويجب أن تُقرأ الأمور بوضوح – فكر هنتنجتون على أنه تصور استراتيجي لوضع الغرب في العالم، هذا الوضع المحقّق للهيمنة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية. كيف يستطيع الحفــاظ علــى اســتمرار هيمنته؟ وهنتنجتون يقدم طرحاً ثقافياً حضارياً للغرب، يتلخص في أنــه يســتطيع أن يحافظ على هيمنته، إذا واجه التحدي الثقافي الحضاري الذي يأتي من حضارات مؤهلة لمثل ذلك، وكيف يحفظ نفسه ويقي ذاته من تدهور هيمنته، وليس الحفاظ على ذاتــه فقط. وقد غفل الكثير منا عن نقاط هامة في طرح هنتجتون، وأهمها أنه يقدم الغــرب أيضاً كعدو للإسلام، فطرحه لسياسات الغرب يبين ذلك، أن الغرب بسياســاته هــو مصدر إظهار عداء العوالم الأخرى المختلفة حضارياً عن الغرب، وأنها ستنهض وتمثــل تحديات للغرب.

ومن هنا أؤكد على أن تجدد الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات قد دشنته أبحاث نظرية، وأكاديمية، وفكرية قبل أن يظهر على سطح الواقع، سواء بأحداث وصــراعات دموية في مختلف أنحاء العالم بعد نهاية الحرب الباردة، محورها أبعاد أو اختلافات عرقية، أو إثنية، أو دينية... إلخ، وعلى مستوى العالم ككل، تغيرات على مستوى العالم، يقفز



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قلبها الحديث عن العلاقة بين الغرب وعالم الإسلام والمسلمين، ليست باللغة التقليدية السياسية الاقتصادية والعسكرية، ولكن بلغة جديدة، بالنسبة للخمسين عاماً السابقة، لغة مواجهة بين حضارتين، أو ثقافتين.

هناك مجموعة أخرى من الأسباب، متصلة بالتغيرات في العالم، فالعالم بعد نهاية الحرب الباردة، انتهى منه نموذج جماعي وسياسي مناوئ للغرب الرأسمالي بدون حرب، وهو النموذج الشيوعي متمثلاً في الاتحاد السوفيتي، وبدا أن هناك نموذجاً واحداً أساسياً وهو النموذج الغربي الرأسمالي، المنفرد، المحقق للهيمنة الآن. هذا النموذج يريد أن يؤكد استمرار هيمنته، فله الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية، ولكن يريد أن يؤكد استمرار هذه الهيمنة ويحفظ هذا التفوق من أن يتآكل، فالطرح الذي نُظِّر له أن هذا لن يتحقق إلا باستكمال دائرة الهيمنة والسيطرة، فيما يتصل بالنموذج الحضاري بأبعاده الثقافية الحضارية، الذي إذا انتشر وساد، وأبعد واستبعد كل منافس له يمكن أن يحقق أمرين:

**أولا**: أن يدعم مكاسب السياسة والاقتصاد والأمن العسكري.

**ثانيًا**: تحقيق مطامح تأكيد ما تبقى من أبعاد الهيمنة المتعلقة بالنموذج الحضاري الثقافي بكل معانيه، أي الرؤية للعالم، والقيم، والقواعد، والسلوك، والمبادئ المتصلة بتنظيم الحياة والدولة والمجتمع، وموضع الإنسان من الكون والحياة وعلاقته بأمور كثيرة.

ومن ثم ساعد المجموعة الغربية أو المنظومة الغربية في هذا المنحى، شيء أساسي تحقق خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الماضية، وهي القفزة الهائلة في الثورة الاتصالية والمعلوماتية. هذه القفزة تُمكِّن من أمر شديد الخطورة والأهمية، بالنسبة للعلاقات بين الأبعاد الثقافية الحضارية للأمم والشعوب، وهو كسر الفاصل بين الداخلي والخارجي،



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم نعد نتحدث عن تأثير خارجي على الداخل، بل نرى اختراقاً خارجياً للداخل ممثلاً في آليات وأساليب عديدة. هذا الاختراق من الخارج للداخل في ظل ما يسمى العولمة وآلياتها وعملياتها يزيد التناقض بين أمرين:

**الأول:** ما العالمي العولمي؟
**الثاني:** ما المحلي الخصوصي؟

هذه الإشكالية تفرز تساؤل هو ما المقصود بالأبعاد الثقافية الحضارية في المواجهة بين الشعوب؟ فهي ليست مواجهة عسكرية، وسياسية، واقتصادية تقليدية، ولكنها مواجهات ذات طابع جديد تنهض فيه الثقافة والاختلاف الحضاري، والأبعاد العقيدية وليست الأيدلوجية، وتوازنات القوى الدولية بالدور الأساس.

ومن هنا، فإن هذه المجموعة المتصلة بالتغير في العالم، ووزن الغرب فيه، وسعيه نحو فرض هيمنته، أبرزت أيضاً بدورها، الاهتمام بالأبعاد الثقافية الحضارية؛ بحيث لا نستطيع أن نرصد خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الماضية سياسات غربية مقطوعة الصلة بأبعاد ثقافية حضارية. كما ذكرت آنفاً الشراكة الأوربية المتوسطية، لها بعد ثقافي حضاري مستجد، إلى جانب الأبعاد التقليدية الأخرى. الأمر نفسه يذكر لمبادرات الولايات المتحدة تجاه آسيا وإفريقيا، حتى تجاه أوربا نفسها، المكون الثاني للغرب، فهم لا يتحدثون بلغة السياسة والاقتصاد والأمن العسكري التقليدي فقط، بل بلغات وأدوات وآليات أخرى ثقافية حضارية بدرجة كبيرة.

**أما المجموعة الثالثة** من الاعتبارات التي دفعت إلى الاهتمام بموضوع العلاقة بين الحضارات، فهي التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي نفسه. نحن في العالم الإسلامي، أو الأمة، تواجَه دائماً منذ بداية رسالتها بتحديات مختلفة ومتنوعة على مر التاريخ. والمرحلة الراهنة من التحديات التي تواجهها الأمة، مرحلة شديدة الخطورة نتيجة كل الأبعاد السابقة. ليست مرحلة السيطرة على الأرض فحسب، أو السيطرة



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الموارد أو فرض قيود على الأمن العسكري، ولكن أضحت مرحلة الدخول في مواجهة خط الدفاع الأخير، فيما يتصل بالهوية والخصوصية، والأبعاد العقيدية في المكون الذاتي للأمة. هذه الأبعاد لا أنظر إليها بصورة مجردة، بل في صميم علاقاتها بعناصر القوة المادية للأمة.

دائماً الهوية والخصوصية والبعد العقيدي في مكونات الأمة هي الأساس الذي كان يحفز ويطور، وينمي الفعل الحضاري بأبعاده المادية. فإذا كان قد حدث تآكل في هذه الأبعاد المادية في القوة في العالم الإسلامي تدريجياً، كان هناك دائماً اقتناع واعتقاد أن خط الدفاع الأخير، وخط الاستعداد للتحديد مرة أخرى، لا يكمن فقط في إحياء وتجديد الأبعاد المادية للقوة، بقدر ما يكمن في إيحاء وتجديد الأبعاد الثقافية والحضارية، فخصوصيتنا الثقافية والحضارية لها أهميتها، ولكن بها سلبيات يراد لها التجديد، وبها ثوابت يراد الحفاظ عليها، وتعبئة دورها القومي.

هذه الأمور جميعها إذا نظرت إليها جميعاً، وباعتباري متخصصة في العلاقات الدولية، أرى أن الانشغال بالبعد الثقافي الحضاري، وكيف قفز إلى واجهة الاهتمام بهذه الصورة الآن، أي في حقبة العشر سنوات الماضية حتى الآن، في السياسة والفكر والحركة والسياسة الغربية، يجعلني حينما أرى أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما قبله من أحداث كثيرة، أحداثاً ذات طابع عنيف في مناطق العالم الإسلامي نفسه. وحادث الحادي عشر من سبتمبر له زخمه، لوقوعه في عاصمتي المال والسياسة في أكبر دولة في العالم، وضد أهم رمزين من رموزها العسكرية والمالية، ولكن هناك نظائر له ربما أكثر خطورة من حيث العنف والدموية والدمار والتداعيات حدثت في أرجاء عديدة من العالم، وفي مناطق الأمة الإسلامية، وأثارت تساؤلات كثيرة حول أسبابها؟ هل هي توازنات وصراعات قوى ومصالح عادية، أم في قلبها وفي صلبها تأثير البعد الثقافي



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحضاري. ومن ثم فتوليفة هذه الأمور الثلاثة، جعلتني أنظر إلى موضوع العلاقة بين الحضارات، على أنه ليس موضوعاً موسمياً، أو موضة فكرية، أو موضة بحثية تظهر أحياناً وتختفي أحياناً، ولكن شعرت أنها أمر حيوي، وضروري.

وبعد هذا العرض السابق أكون قد انتهيت من الإجابة عن السؤال الأول وهو: **لماذا الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات، وشكل العلاقة بينها صراع أم حوار؟**

كما قلت نتيجة ثلاث مجموعات من الأسباب، التي لابد أن تجعلنا نؤكد أن الأمر ليس مستحدثاً، أو مرهوناً أو مقروناً فقط بأحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها حتى الآن، ولكنها سوابق ومتتاليات مبكرة.

**السؤال الثاني:** إذا كنا في دائرتنا العربية والإسلامية قد اهتممنا بهذا الأمر مثلما اهتم به الغرب بمكوناته المختلفة، وربما كان الغرب هو الذي دشنه فكرياً ونظرياً وعملياً، بمعنى أنه دشنه فكرياً بمقولة الصراع عن طريق مفكر مثل هنتجتون، دشنه عملياً بمجموعة من السياسات، لا أتحدث بلغة المؤامرة والتعميمات، وإنما كدارسة للعلاقات الدولية، إذا رصدت السياسات الغربية بقيادة أمريكية خلال الخمس عشرة سنة الماضية فقط، نجد أنها سياسات متجهة ضد العالم الإسلامي بكل قوة، سواء فُسِّر ذلك على أنه نتيجة الاختلاف الحضاري والثقافي، وأن هذه السياسات ضد المسلمين فقط لخصوصيتهم، أو لأن هناك مصالح واعتبارات استراتيجية وسياسية متنوعة تُغلَّف بغلاف ثقافي وحضاري. إذا كان الغرب دشن فكرياً ونظرياً وعملياً مقولات وسياسات صراعية، وفي الوقت نفسه دشن البعض من قطاعاته مقولات مناظرة ودعاوى مناظرة حول الحوار. ففي كلتا الحالتين المبادرة جاءت من الغرب، وكذلك في كلتا الحالتين نحن المتلقّون ثم نبدأ في التفاعل معه فكرياً ورسمياً ونظرياً، سواء على صعيد مقولات الصراع أو مقولات الحوار.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في كلتا الحالتين نحن متلقون في الدائرة العربية والإسلامية، نحن دائماً في وضع رد الفعل، وهذا أمر خطير معرفياً، ومنهجياً وفكرياً، وسياسياً. وهذا هو الذي انصب اهتمامي عليه. فلا يعنيني إطلاق حكم صراع أم حوار على حالة العلاقة بين الغرب وأمة الإسلام، بل يعنيني مثلما قمت برصد محاولة تقديم أسباب الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات في مرحلتنا الراهنة أنها ليست عملية ثقافية فكرية محضة، بل هي عملية في قلب السياسات والتوازنات العالمية، أحاول أن أقدم لكم ما شعرته ورصدته وقيمته من حالة الاستجابة في الدائرة العربية والإسلامية حول مقولات الحوار أم الصراع بين الحضارات في عالم اليوم. وهذا هو الجزء الثاني من حديثي – موضوع العلاقة بين الحضارات حوار أم صراع؟ فإن عرضت عليكم ما كتب حول هذا الموضوع في ندوات ومؤتمرات وبحوث وكتب بالعربية ومقالات صحف حول هذا الموضوع سوف تصيبكم الدهشة من حجم الاهتمام بهذا الموضوع.

هذا الاهتمام ذكّرني باهتمامين سابقين، حدثا في الدائرة العربية والإسلامية الأكاديمية والفكرية والسياسية في بداية التسعينيات، حين دُشّن مقولة النظام العالمي الجديد بعد حرب الخليج الثانية، وفي منتصف التسعينيات حين دُشّنت مقولة العولمة. فالنظام العالمي الجديد، العولمة، العلاقة بين الحضارات حوار أم صراع؟ ثلاثة حلقات متتالية من الجدل والمواجهات والمقابلات الفكرية والنظرية والسياسية في دائرتنا العربية الإسلامية، وبيننا وبين الآخر حول هذه الأمور.

وإذا شخّصت هذه الحالة، حالة الحديث عن حوار أم صراع الحضارات، كما شخصت من قبل حالة الحديث حول النظام العالمي، نستطيع أن نقول إنها حالة شديدة الغموض والتداخل والحركة في حلقة مفرغة، فلا نحن نستطيع أن نتبين رؤية واضحة حول موقفنا من الدائرة العربية الإسلامية حوار أم صراع مع الآخر؟ ولا نعرف كيف



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نحدد سياسات واضحة المعالم تدار في هذا الصدد، بحيث تجعلنا نقف ونقول أين البداية وأين النهاية في هذا الأمر؟ وبالتالي أردت أن أرصد هذه الحالة وأقوم بتشخيصها، وأن أقدم لكم أهم خصائص حالة الحديث عن العلاقة بين الحضارات، أو في العلاقة بين الحضارات، أو حول العلاقة بين الحضارات، ما بين الحوار والصراع في الدائرة العربية الإسلامية بروافدها الفكرية المختلفة.

مثلما قلت سابقاً أريد أن أكتشف نمط رد فعلنا حول هذا الأمر، الذي أعتقد أنه أمر حيوي ومهم وأساس بالنسبة لدورنا في العالم في هذه المرحلة، من التحديات التي تواجه الأمة، وكذلك أيضاً حتى نعرف ملامح الاتفاق بين روافدنا السياسية، والفكرية حول هذا الموضوع.

ولذا فمن متابعتي شعرت أن هناك حالة من الغموض والفوضى والتداخل في تناول هذا الأمر، لماذا؟ وكيف؟ وما مؤشرات هذه الحالة؟ لدرجة أستطيع القول بها أن دراسة هذا الموضوع والتفكير فيه داخل الدائرة العربية تُبين افتقاد المنهج والرؤية، بالرغم من درجة الأهمية المرتفعة التي اكتسبها المفهوم؛ العلاقة بين الحضارات صراع أم حوار؟ ولكن لا أستطيع أن أحدد خطاً واضح المعالم لهذا الحديث المتنامي، لهذه المرحلة الخطيرة والمهمة. بعبارة أخرى بقدر الاهتمام بالمفهوم؛ بحيث يبدو أنه مفهوم محوري — الحوار بالذات يوحي بأفضلية — بقدر ما أضحى ملبَّدًا بالغيوم وعدم الوضوح؛ بسبب ماهيته، وغاياته، ومبرراته، وشروطه، وآلياته، فهو مجرد شبح أو خيال، أو طيف ليس له وجود حقيقي، هذا الذي يسمى حواراً بديلاً عن الصراع الحضاري.

من كل ما تقدم عرضه، أرى أن من خلال تتبعنا للكتابات حول العلاقة بين الحضارات حوار أم صراع؟ وما خصائص هذه الكتابات في الدوائر العربية والإسلامية؟ أرى أن أهم سمة هي وضع الإسلام والمسلمين في قلب الحديث عن هذه العلاقة بين الحضارات.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما السؤال الذي يطرح نفسه الآن فهو: هل صراع الحضارات حلّ محلّ صراع القوى أو صراع الطبقات كمحرك للعلاقات الدولية؟

- هل حوار الحضارات أم صراعها يقتصر على الأبعاد القيمية والثقافية؟ أم أنه يمتد إلى الأبعاد المادية للقوة وقضاياها؟.
- ما شكل حالة التوازن العالمي الذي يسمح بحوار حضارات سويٍّ وفاعل؟.
- ما أصل العلاقة بين الحضارات؟ هل هو الحوار أم الصراع؟ وهل يصح طرح السؤال على هذا النحو أم يجب التساؤل متى يكون الحوار؟ ومتى يكون الصراع؟ على اعتبار أن الاختلاف بين الحضارات في حد ذاته ليس هو السبب في الصراع أو السبب في الحوار. وحيث إن السياقات الدولية هي التي تؤثر على بروز إحدى الحالتين على الأخرى؛ أي الحوار أو الصراع، وفقاً لطبيعة المرحلة التاريخية، فهل يمكن أن تفرز حالة الفوضى العالمية الجديدة التي نعيشها، وضعاً آخر غير الصراع؟ وهل يمكن أن يكون الحوار هو السبيل أمام العالم للخروج من أزمته الحالية؟ وهل يمكن أن يتحقق هذا الحوار؟ وما شروطه؟.

هذه الأسئلة ألخص فيها ما طرح في روافد كثيرة من الأدبيات، فالإجابة عن هذه الأسئلة هي الشغل الشاغل لكثير من المفكرين، وهذه الإجابات تعددت من مفكر إلى مفكر، ومن منظر إلى منظر، ومن باحث إلى باحث، من سياسي إلى سياسي.

وإذن فما معيار الاختلافات بينهم، وكيف نصنّفها، ونفسرها؟، فمن طبيعة عملي كباحثة، وأنا أتابع هذه الكتابات، أن أكتشف مناطق الاتفاق، ومناطق الاختلاف، وأعرف أين نستطيع أن ننمي مناطق الاتفاق، وأين نحاول أن نتجنب مناطق الاختلاف، بيننا كعرب ومسلمين، حول قضية أساسية من القضايا التي تواجهنا.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هل نستمر فيما يسمى -أو يمكن أن نقيم ما يسمى-حوار حضاري ثقافي مع الآخر؟ أم الحالة التي يعيشها العالم الإسلامي، والإسلام والمسلمين في العالم، من حيث موضع العالم الإسلامي، ومن حيث الآخر، لا تسمح بهذه الحالة الحوارية، أو تسمح بهذا الترف الذي يعتقده البعض؟.

هذه التساؤلات قُدمت حولها إجابات متنوعة، و لم تقدم حولها إجابة واحدة على الإطلاق، فليس هناك اتفاق على شيء واحد، باستثناء أن العلاقة بين الحضارات قد تكون حواراً أو صراعاً. لقد قمت بتقسيم الإجابات حول هذه الأسئلة بين ثلاثة اتجاهات:

**الاتجاه الأول:** يؤكد مقولات هنتجتون، فصرف ذهنه للرد على هنتجتون، ومن ثم يرفض إمكانية الحوار، انطلاقاً من حقائق الاختلالات في توازنات القوى الدولية، وسياسات القوى الغربية تجاه الجنوب أو العالم الإسلامي بصفة عامة، أو باعتبار أن مبعث السياسات الغربية تجاه العالم الإسلامي هو الاختلاف الثقافي والحضاري، أو العداء الثقافي والحضاري من جانب الغرب تجاه الإسلام والمسلمين؛ أي مبعثها -كما قلت- هو الصراع الحضاري من جانب الغرب تجاه عالم الإسلام والمسلمين، ومن ثم فإن الحوار لن يكون إلا سبيلاً جديداً لفرض الهيمنة الثقافية والحضارية بعد أن فُرضت الهيمنة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، فلم يبق للغرب إلا أن يستأصل ما تبقى من نموذجنا الثقافي الحضاري الذي نحاول إحياءه، كسبيل للإحياء والتحديد المادي، ومن ثم فهو يُولّد أو يبتكر آليات وأدوات جديدة لإدارة الصراع معنا تحت اسم الحوار، وهو لن يتحاور بالمعنى الحقيقي للحوار، ولا بالمفهوم الحقيقي والأهداف الحقيقية للحوار، بل سيلوي الأعناق، ويقلّب الأمور، في ظل هذا الحوار، لنقبل ما لا نريد أن نقبله ونعطي شرعية لوجوده الثقافي والحضاري، بعدما



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اضطررنا لقبول هيمنته السياسية والاقتصادية والعسكرية. هذا باختصار شديد ملخص الاتجاه الأول، وله أسانيده ومبرراته الكثيرة.

**الاتجاه الثاني:** يرفض مقولات هنتجتون، فيقول إنه ليس هناك صراع؛ إما رفضاً أن تكون العلاقة بين الحضارات، وليس توازن القوى والمصالح هي المفسر الأساسي للعلاقات الدولية، وهذه هي الرؤية الواقعية للعلاقات الدولية، التي ترفض تسييس العامل الحضاري والثقافي. وإما يرفض المقولة خوفاً من إلصاق التهمة بالإسلام والحضارة الإسلامية، باعتبارها مصادر للصراع والتصادم؛ ومن ثم يرفضون مقولة هنتجتون دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، واعتذراً عنهم باعتبارهم يقبلون الآخر، ولا يرفضونه، ويتعاونون معه، ومستعدون للحوار معه، وإما دفاعاً عن التعددية الثقافية والحوار بين الثقافات والحضارات باعتباره أساسياً في العلاقات الدولية انطلاقاً من رؤية إنسانية عالمية، وليست رؤية إسلامية فحسب، أو انطلاقاً من رؤية إسلامية تعترف بأهمية الحوار والتعارف الحضاري بين الأمم والشعوب، وكأساس من أسس الرسالة العالمية للإسلام، وليس مجرد الدفاع والاعتذار عن الإسلام في موقف ضعف للمسلمين.

**الاتجاه الثالث:** يقول إن الحوار أو الصراع هي حالات للعلاقات بين الحضارات، في حين يرى رافد أن الحالة الدولية الراهنة لا تسمح بحوار ثقافات أو حضارات؛ نظراً لاختلال ميزان القوى الحاد بحيث لن يقود الحوار إلا إلى فرض نمط حضاري على آخر، يرى رافد آخر أن الحوار الآن ضروري للخروج بالعالم من أزمته الراهنة، إلا أنه لابد وأن تتوافر له شروط تحقق المشاركة الفعالة للإسلام والمسلمين فيه.

بعبارة أخرى، الحديث عن حوار الحضارات في دائرتنا العربية والإسلامية، ولُد من رحم التصدي لمقولة صدام الحضارات، ومن زخم الاعتراض على هذه المقولة وتفريعاتها، ولكن الأسانيد المعرفية والفكرية والسياسية اختلفت من اتجاه إلى ثان إلى



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالث، انطلاقاً من اختلاف الرؤية للعالم، والعلاقة بين مكوناته على النحو الذي يمثله الموقف من العلاقة بين الحضارات. إذن فلدينا الآن ثلاثة اتجاهات رئيسة:

١. الاتجاه الليبرالي.
٢. الاتجاه القومي واليساري.
٣. الاتجاه الإسلامي.

فالاتجاه الأول أو المدرسة الليبرالية رغم أنها أكثر الاتجاهات دفاعًا عن حوار الحضارات في عالم ما بعد الحرب الباردة والعولمة، إلا أنها تنطلق من رؤية إنسانية عالمية.

أما الاتجاه الثاني أو المدرسة القومية واليسارية، وإن اشتركتا مع بعض الروافد الإسلامية، في الاعتراف بأن الغرب هو مصدر الصراع الذي يحول دون إمكانية حوار حقيقي، فأصحابها يختلفون فيما بينهم. أما الاتجاه الثالث الأخير أو المدرسة الإسلامية، فإنه يعطى زخماً أكبر لتأثير الأبعاد الثقافية والحضارية على العلاقات الدولية، بعكس التيار القومي واليساري. حتى الروافد الإسلامية التي تعبر عن رؤية إسلامية عن الحوار، أو الصراع، فليس لدى أصحابها هناك رؤية إسلامية واحدة حول طبيعة العلاقة حوار أم صراع؟ فنجد البعض مثلاً يقول إن حوار الحضارات يهدف إلى تنصير المسلمين، انطلاقاً من رؤية المؤامرة على الإسلام، وفي المقابل من نفس الدائرة الإسلامية يصل البعض الآخر إلى أن حوار الحضارات بالنسبة للمسلمين هو جهاد العصر بأساليبه الجديدة في مواجهة الصراع الحضاري من جانب الغرب. وبين الرافدين -وكلاهما يعبر وينطلق ويقول إنه يقدم رؤية إسلامية فكرية وليست تأصيلية- رافد آخر ينبه إلى مخاطر أهداف الحوار، كما يطرحه الغرب وشروطه وينبه النظر إلى أهمية توافر شروط معينة يحقق من خلالها المسلمون فاعلية في إدارة الحوار.

كل هذه الأمور تبين لنا أنه ليس هناك في دائرتنا العربية والإسلامية موقف واحد في النظر إلى العلاقة مع الآخر في نطاق صراعي أم في نطاق حواري، الأمر مبعثه



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعضلة الشديدة بين أزمة وواقع الأمة وبين تأصيلات متنوعة حول هذا الأمر: العلاقة بين الحضارات.

هذه هي الخصيصة الأولى، وهي انقسام اتجاهات الفكر والمدارس الفكرية المختلفة حول الإجابة عن هذا السؤال: العلاقة بين الحضارات حوار أم صراع، أم ماذا بينها؟

أما الخصيصة الثانية التي أريد أن أقدمها كمكّون ثان من مكونات تشخيص للحالة الراهنة للحوار، فهي أننا في الحوار لا نعرف مَنْ يحاور مَنْ؟ إذا فرضنا أن هناك حواراً دائراً. فهناك حوارات بدأت وحدثت وتطورت على الساحة العملية. فالسؤال هنا إذن: مَنْ يحاور مَنْ؟ وحول ماذا؟ وكيف؟

الواقع أن كل الكتابات كانت تدور حول نقطة: هل هناك حوار أم صراع؟ هل نستطيع إحداث حوار أم لا؟ وهل سيتغلب الصراع على الحوار؟ ولكن لم يهتم أحد برصد الزخم المتراكم من الخبرات في مجال إدارة حوارات على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، ولا قام برصد القضايا التي يُدار حولها الحوار، وما الذي تحقق حولها من نتائج إذا كان للحوار نتائج. وبعبارة أخرى، أين القضايا والآليات التي تتصل بالحوار ذاته، أو أين الحديث في حوار الحضارات ذاته؟ أين ممارسة الحوار ذاته بفرض قبولنا قيامه؟ حتى برفض قيامه من جانب البعض. بعبارة أخرى أين حدود خريطة الجهود والخبرات العربية والإسلامية الفعلية في مجال إدارة حوار الحضارات وممارساته؟ وأين تقييم نتائجها؟ وخاصة أن هناك زخماً كبيراً في الجهود في ذلك المجال على المستوى الرسمي، والمدني والأهلي، والعربي، وعلى مستوى بعض الدول الإسلامية مثل إيران، وتركيا، وعلى مستوى بعض المؤسسات مثل جامعة الدول العربية، ومنظمة



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤتمر الإسلامي. فمَنْ على مستوى الغرب يأتي ويحاور، ومَنْ على صعيد الأمة الإسلامية يحاوره. وهذه قضية مهمة جداً لعدة اعتبارات هي:

- هل لدينا جدول أعمال لحوار الحضارات؟.
- هل لدينا استراتيجية لتعظيم نتائج هذه الملتقيات المتنوعة؟.
- هل لدينا تصور عربي متفق عليه، ولا أقول موحد أو إسلامي، حول تقديم رؤية إسلامية أو عربية حول قضايا الحوار في ملتقيات هذا الحوار؟.

هذه أمور لم تحظ باهتمام من جانب الباحثين والمفكرين لتقييمها ورصد نتائجها بهدف ترشيد الجهود المبذولة في هذا المجال؛ فالغرب لديه دراسات عديدة في هذا المجال، ولديه تقييم مستمر لنتائج الملتقيات الحوارية على المستويات المختلفة (مثل جهود الجماعة الأوربية).

لكن ماذا لدينا نحن في الدائرة العربية والإسلامية حول نتائج الحوار القائم على مختلف المستويات؟ وكيف نقييمها، وكيف نرشد فاعليتها؟

**الأمر الثاني: مَنْ يحاور مَنْ؟ وحول ماذا؟**

أرى أننا لا نعرف ما المقصود بقضايا الحوار وأهدافه وغاياته، فالليبراليون، واليساريون والإسلاميون يتحدثون عن أمور مختلفة في دائرتنا العربية والإسلامية، والجميع يتحدث عن حوار الحضارات، أو عن التصدي للحملة التي تواجه الإسلام والمسلمين في العالم، أو العلاقة بين الإسلام والغرب.

فالاتجاه الليبرالي، على سبيل المثال، يرى أن الحوار هو طريق للوصول إلى النموذج الغربي في حقوق الإنسان، والمساواة، وما يتصل بشأن المرأة والديمقراطية، أي غرض الحوار مع الآخر أن أحاكي ما هو عليه، فإذا تتبعنا كتابات مثل كتابات الأستاذ السيد ياسين في هذا المجال، نجد أن هدف الحوار الحضاري عنده هو نقل واقتباس



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منظومة التحديث، وعبور الفجوة بين عالم الإسلام والمسلمين للنواحي التكنولوجية والفكرية... إلخ.

أما الاتجاه اليساري فيرفض أن يكون هناك حوار ثقافي وفكري حول قضايا فكرية، ويرى أن من باب أولى أن نضع جدول أعمال للشمال والجنوب، وقضايا النظام الاقتصادي العالمي الجديد، والعدالة والمساواة في صلب جدول الحوار، ولا نشغل أنفسنا بمقولة الحوار الفكري والحضاري والثقافي، لأن المهم هو حوارات توازنات القوى المادية.

أما الاتجاه الإسلامي، فعلى المستوى الرسمي متمثلاً في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، حين ينظم مؤتمراته عن الإسلام في عالم اليوم، فإنه يتداول موضوع الحوار أم الصراع بطريقة أو أخرى، هو يتحدث عن صورة الإسلام والشبهات التي يتعرض لها، واستحضاره ما يتصل بطبيعة الإسلام عقيدة، وشريعة، وقيماً، وأخلاقاً، وما يتصل بخصائص الحضارة الإسلامية مقارناً بنظيريتها الغربية، وما يتصل بالممارسات الإسلامية في التاريخ تجاه أصحاب الديانات والثقافات الأخرى مقارناً بنظيريتها الغربية.

ثلاثة مواقف، والجميع يتحدث عن حوار الحضارات والثقافات، وكل اتجاه يقترب من مجموعة من القضايا أو الإشكاليات ويعتقد أنها في نظره هي الأسلوب الأمثل للحوار الثقافي والحضاري الذي يجب أن تقوده الأمة في مواجهة الآخر.

فبعد بدايات الاختلاف حول: هل هناك حوار أم لا؟ هناك اختلاف أيضاً حول الموضوعات التي يجب أن يتم الحوار حولها، ومع مَنْ يتم الحوار؟

والسؤال المهم هو: مَنْ يحاور؟ هل عالم الاجتماع، أم رجل الشرع؟ إذا كان الحوار الحضاري الفكري الثقافي له بعد متصل بالاختلاف الثقافي الحضاري، أو هو



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالأساس متصل بالاختلاف الثقافي الحضاري في ذاته، وفي أثره السياسي والاقتصـــادي والعسكري. فمن الذي يقوم بهذا الحوار، علماء الاجتماع أم الشرعيون؟

علماء الاجتماع الذين لديهم جرعة من العلوم الشرعية، أو الثقافة الإسلامية؟، أم علماء الاجتماع الذين لديهم رؤية إسلامية أو المنظور الإسلامي؟.

مَنْ يحاور مَنْ؟ الرسميون أم الأفراد، والجماعات، أو المنظمات الأهلية والمدنية، والمثقفون، والمفكرون؟

الأمر جلل، وخطير، ومهم، وضروري على الصـــعيد النظـــري والفكـــري، والسياسي. ولكن لا نجد له على الساحة العربية الإسلامية رافداً أساسياً يتفق على هل ندخل في حوار أم لا؟ حتى على المستويات الرسمية. فمثلاً في مصر نؤكد على أن هناك حوار، ولكن على مستوى السياسة المصرية الخارجية فإنهـــا لا تعطـــي زخمـــاً للبعـــد الحضاري الثقافي، ولا لموضوع حوار الثقافات، وتتركه للأجهزة الأخـــرى متمثلـــة في الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وغيرهما من الجهات والمؤسسات المدنية.

بعد هذا العرض المطول عن الموضوع، لا يتبقى لي إلا سؤال أخير وهو: مـــا رؤيتي الخاصة لهذا الموضوع؟. إن رؤيتي تنحصر في نقطتين حول إشـــكالية حـــوار أم صراع؟

أولا: كيف أفكر في مبررات ودوافع العلاقة بين الحضارات؟

ثانيا: كيف أفكر في العلاقة بين الأبعاد الثقافية الحضارية والأبعـــاد السياســـية والاستراتيجية التي تدار بها العلاقات الدولية؟

وإجابتي عن هذين السؤالين هي أن حوار الحضارات أو صراعها مجال أســـاس من مجالات دراسة العلاقات الدولية وإدارتها في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ويرجـــع ذلك إلى انتهاء الصراع الأيدولوجي الذي ساد التفكير حوله وإدارته، خـــلال فتـــرة



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السبعين سنة الماضية، وقبلها صراع توازن القوى التقليدي، وأيضاً صعود دور الأديان والقوميات، والتئام الحدود بين الداخلي والخارجي، وبعد أن تحققت الهيمنة الغربية العسكرية والسياسية ثم الاقتصادية، و لم يتبق لهم إلا اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي لخدمة الأبعاد الأخرى.

وأحسب أننا شئنا أم أبينا، قبلنا أم رفضنا، فالأمر مفروض علينا، فالحديث عن الإدارة والفعل في مجال الحوار أم الصراع الحضاري قائم، أردنا أم لم نرد في هذه المرحلة، وعلينا التفكير في كيفية التعامل معه. فالولايات المتحدة كما أن لديها أسلحتها وصواريخها وجيوشها على أرضنا الآن، -وهذا لا يكفيها- لديها خطة استراتيجية متعددة المستويات، ومتعددة الأدوات، لإدارة حوار ثقافي وحضاري مع العالم الإسلامي، تضع له ميزانيات وخطط مختلفة، لأنها تريد أن تكسب شرعية لوجودها وحركتها عن طريق محاولة إفهام العرب للقيم الأمريكية. نحن في غيب تام عن الكتابات الأمريكية والخطط الأمريكية، وما تقوم أمريكا بتنفيذه بالفعل على مستويات التبادل الطلابي والشبابي، وعلى مستوى الإذاعات الموجهة، وعلى مستوى المجموعات من النخب الفكرية والثقافية والأكاديمية التي تأتي مراراً إلى المنطقة، وعلى مستوى المجموعات السياسية التي تأتي مراراً إلى المنطقة وتتحدث في أمور الحوار.

**النقطة الثانية:** الحوار ليس إلا شكلاً من أشكال العلاقات بين الحضارات، ولذا فإنني أنقد ذلك التشعيب الشائع انطلاقاً من الحوار، وانطلاقاً من دوافع دفاعية اعتبارية بوصف العلاقات الراهنة بأنها حوار، أو أنها يجب أن تتجه إلى حوار، كما أنقد من ناحية أخرى التمترس وراء تشخيص هذه الحالة الراهنة أيضاً- وانطلاقاً من مبررات أيدلوجية- بأنها أسيرة الصراع الدائم الحالي.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعبارة أخرى إن الانشغال على الساحة العربية بهذين الطرحين على هذا النحو، الاستقطابي الثنائي، الذي يجرى، حوار أم صراع؟ يستحق الانتقاد المعرفي والمنهجي، بل والسياسي أيضاً، لماذا؟ لأن حوار الحضارات باعتباره نمط من أنماط العلاقات بين الحضارات، تبوأها هذه العلاقة على مدار تطورها التاريخي. تاريخ العلاقة بين الحضارات لم يكن صراعاً فقط، و لم يكن حواراً فقط؛ بل كان حلقات متداخلة ومتصلة من هذا وذاك. كما أن للحوار شروط لازمة التحقيق، وآليات لإدارته وصولاً لأهدافه.

ولذا فإنني أرى أن --كما قلت- حوار الحضارات الآن يعد أداة من أدوات إدارة السياسات الخارجية وخاصة في يد القوى الكبرى المهيمنة بهدف إدارة مراحل التأزم الدولي سواء من جانب الفواعل القوية أو الضعيفة. فالفواعل القوية تنتهجه، وعلى الفواعل الضعيفة أيضاً أن تنتهجه، ولكن بفهم معين.

الحوار في نظري لا يمكن أن يكون على الصعيد الرسمي فقط وفي مراحل التأزم فقط، بل هو عملية ممتدة عبر التاريخ، صعوداً وهبوطاً، من حيث الأهمية، ويمتد عبر نطاقات متنوعة من التفاعل البشرى. وإنْ تداخل مع أمور أخرى مثل التفاعل الثقافي. لكن الحوار له جانب إرادي واعي، باعتباره أداة وآلية من آليات إدارة العلاقات الدولية في ظل تأزم نظام العولمة.

هل نستطيع نحن كدائرة عربية وإسلامية أن نوظّفه بطريقة معينة في ظل الوعي بحقائق أهداف الطرف الآخر منه، وبحقائق إمكانياتنا، وتفاعلاتنا؟.

النقطة الثالثة: قضايا الحوار بين الحضارات: يجب أن نؤكد أن الحوار ليس تفاوض حول قضايا اقتصادية وسياسية، لكن الحوار له قضاياه الثقافية الحضارية المباشرة المتصلة بهذه الأبعاد، أو بالأبعاد الثقافية الحضارية لقضايا مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النقطة الأخيرة: مفكرو الحوار وأطرافه: لدينا ثلاثة مستويات من الحوار ممكن أن يدار بها، أو أنه يدار بها فعلاً:

- الذين يكتبون في الحوار وعن الحوار، وهذا لا أعده حواراً، بل نوع من المنولوج؛ فهناك كتابات عن السياق الذي يفرز الحوار، كالعلاقة بين الحوار وتوازن القوى، وغايات الحوار وأهدافه، ومحدداته، وبين الحوار الفعلي الشفوي والحياتي، والحوار الشفوي الذي يمكن أن نمارسه كمفكرين وباحثين ومنظرين ومثقفين مع نظائرنا من الطرف الآخر في منتديات ثقافية فكرية.

- نظريًا على المستوى الرسمي، والأهلي، والمدني. لا يمكن لنا أن نتوقف عن هذا النوع من الحوار مهما قيل إن الحوار أداة من أدوات السياسات الخارجية. أنا أنظر إليه على أنه عملية ممتدة لا يستطيع أحد أن يفرضه علينا كأداة من أدوات السياسة الخارجية. وبوصفي مفكر مثقف وباحث، لا يمكن أن أنقطع عن الحوار مع الآخر فكرياً ونظرياً في أي مجال من المجالات. فالحوار على هذا النمط هو مسئولية وأمانة على الكل أن يقوم به كلٌّ في موقعه.

- الحوار الحياتي: هذا النوع من الحوار يتصل بالذين يحتكون بالآخر بطريقة منتظمة في الغرب. ويقصد بذلك وضع المسلمين في الغرب، كيف يتعايشون مع الآخر، والآخر يهتم بكيف يتعايش معهم عن قرب؟

في نهاية حديثي أعتقد أن ما قدمته هو باختصار طرح خبرة تدفع إلى التساؤل: لماذا نعايش هذا الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات؟ وما هي خصائص هذه الحالة من الحديث عن حوار أم صراع الحضارات؟ وكيف أرى أنه بالرغم من كل القيود المادية،



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختلالات توازن القوى المادية بين عالم الإسلام والمسلمين، وبين الآخر، فإن هناك حاجة إلى عملية تغيير مجتمعي وسياسي واقتصادي تجدد القوة المادية، ولكن نحن في الوقت نفسه لا نستطيع أن ننظر إلى الحوار الفكري والثقافي على أنه البديل لعملية التغيير، والسبيل للاعتذار والدفاع، والإحساس بأننا فاعلين في العالم، هذا لا يكفي. ولكن يظل الحوار -باعتباره عملية فكرية متصلة- ضرورة بالنسبة للنخب الفكرية والثقافية في تفاعلها مع الآخر.

**أ.د. علي جمعة**

نتوجه بالشكر للأستاذة الدكتورة نادية في هذا التطواف، حيث نبهت على أهمية الموضوع، من حيث أنه حدث تغير في العالم، فحدث تغير في الرؤية، فتغيرت المداخل والأولويات، وحدث تغير في العالم بعد الحرب الباردة، وحدث تغير في حالة العالم الإسلامي. ثم طرحت بعد ذلك مجموعة من الأسئلة التي تبين أن عملية الحوار أو الصراع إنما هي عملية وليست محض إجراءات ولا أفكار، والعملية من شأنها أن تكون أكثر تركيباً وتعقيداً وتحتاج في التعامل معها إلى هذا المستوى من التحليل الدقيق، كذلك أوضحت رؤيتها حول علاقات الحضارات، وأنها سواء بالحوار أو الصراع هي أمر مهم، وأن الحوار هو شكل من أشكال العلاقة، وأنّ الحاصل ليس حواراً أو صراعاً بحتاً، إنما هو عملية مكونة من كل ذلك.

والحقيقة أنني مارست الحوار في كثير من المواطن في الداخل والخارج، ومع كثير من الاتجاهات، وتبين لي أن الحوار كلمة غير محددة المعنى عند كل الناس، اجتمعنا في بلجيكا، وفي إسبانيا، وفي روما، ولندن، وأمريكا، والفلبين، واليابان، فوجدنا أن كلمة الحوار غير محددة المعنى إطلاقاً. يريد بعضهم بها الهيمنة، وبعضهم يريد بها التشاور، وبعضهم يريد بها الاستئناس، وبعضهم يريد بها البحث عن المشترك، وبعضهم يريد بها بناء علاقات طيبة في التعاون والسلام العالمي، وبعضهم يريد بها مسائل دينية



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحوارات دينية عقيدية، وبعضهم يريد بها الصراع بمفهومه السياسي... إلخ. وهناك مفارقات كثيرة جداً عبر المكان والزمان والأحوال والأشخاص في هذه الكلمة، حتى لم يعد هناك عندي فارق بين الحوار والصراع. رفعت الحواجز عملياً وليس فكرياً ونظرياً من تلقاء الناس، من أن الحوار يعني الصراع، وأن الصراع هو صورة من صور الحوار، أو أن الحوار يشتمل على صور كثيرة منها الصراع. فالأمر كما أشارت الدكتورة نادية مصطفى به فوضى كبيرة يعيشها العالم، ليس فقط في الداخل، وليس فقط بين فصائل مختلفة ليبرالية أو إسلامية أو يسارية، بل في العالم كله، وكأن هذه هي طبيعة الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة، التي تجعلنا فعلاً نعيش سوياً، وأصبح كما كنا نسمع عند الصوفية قديماً بأن الطرائق بعدد أنفاس الخلائق، فيكاد تكون مفاهيم للحوار بعدد أنفاس الخلائق، فكل واحد لديه مفهوم خاص للحوار يريد أن يطبقه: مَنْ الذي يحاور، كيف يحاور، متى يحاور، لماذا يحاور؟ فكل منا يظن في نفسه سلطان.

كنا نتكلم كثيراً عن الحقوق الضائعة، والبحث عن المشترك، وعن السلام العالمي، وكيف نتعاون في تلك المجالات، وكنا نتكلم كثيراً عن إصلاح الصورة وتصحيح المناهج، وتقدمنا كثيراً في مثل هذه الأشياء، ولكن كل هذا لا يحصر قضية الحوار، لأن الحوار أكبر من ذلك. ونفتح الآن الباب للمداخلات من جانب الحاضرين.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

## التعقيبات والأسئلة

### الدكتور عرفة أحمد حسن – جامعة الأزهر

الحقيقة أنه منذ أن جاء الإسلام، وقدم النموذج الحضاري الفريد الذي نعلمه جميعاً، قدم شيئاً مغايراً، فهذا النموذج الحضاري قدم إجابات عن أشياء كثيرة في الاقتصاد والسياسة والتربية وغيرها، ومنذ ذلك التاريخ حدث ما يمكن أن نسميه "حوار أم صراع". الحقيقة مرت تحت جسر مياه كثيرة كما يقولون، وأصبح الحوار الآن بين نموذج غالب ونموذج غائب. فأين الآن النموذج الإسلامي الذي يتحاور مع النموذج الغربي؟ ففي الواقع على مستوى الفكر موجود، وعلى مستوى عقول الأمة موجود، فالأمة الإسلامية عند المواجهة تنقسم إلى ثلاثة أطراف: طرف يواجه، وطرف يهادن، وطرف يستسلم ويذوب. في كل الأحوال هم ينحتون المصطلحات ونحن نسير على هذه المصطلحات، فأنا أتكلم على المستوى السياسي، يمين ويسار ووسط، فهذه المستويات وضعت من قبل الآخر. ولكن ما هو النموذج الذي نواجه به نحن الآن؟

ويمكن أن أضرب مثالين عما أقوله عن مستوى الحوار أو المواجهة أو التفاعل بين الحضارة الغربية والإسلامية، المثال الأول: القضية الفلسطينية التي بدأت في وجدان الأمة عندما حدثت النكبة في فلسطين، كانت الهبة التي هبها الناس على مستوى إسلامي، ثم بدأنا نحجمها نحن على المستوى العربي، ثم على المستوى الوطني، حتى وصل بنا المقام إلى ترك الفلسطينيين يواجهون مصيرهم بمفردهم.

المثال الآخر: حينما قدم الاتحاد السوفيتي النموذج الحضاري لحل مشكلة الإنسان على مستوى الاتحاد السوفيتي، فشل هذا النظام بعد سبعين عاماً، وبعد فشل هذا النظام بدأنا نرى من داخل الأمة الإسلامية نفس رد الفعل السابق، مواجهة، أو مهادنة أو ذوبان.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما المخرج من هذه الأزمة الحضارية التي تواجهها الأمة، فنحن نتحدث عـــن حوار أم صراع، ولكن النص القرآني يقول: "تدافع"، هل انصب جهـــد السياســـيين والمتخصصين وقدموا نموذج للتدافع الحضاري الفعال؟ وشكراً جزيلاً.

**الأستاذ خالد يوسف – قانوني وباحث اجتماعي**

بداية أشكر الدكتورة نادية مصطفى على هذه المحاضرة العميقة، وعلى محاورها الكثيرة. وأبدأ مداخلاتي وأقول باعتباري مثقف: أرى أن الدكتورة نادية مصطفى تدع مساحة بينها وبين العقيدة كباحثة. فهي تذكرني بمقولة في العلوم الاجتماعية، وهـــي: "حيادية الباحث في العلوم الاجتماعية"، وهذه مقولة ليست صحيحة.

واسمحوا لي أن أتطرق إلى نقطتين صغيرتين: أولاً، استيعاب مفـــاهيم الحـــوار المطروحة من الغرب، حيث أرى أننا نتحدث عن مفردات لا نفهم بعضها، مثـــل مـــا يطرح في العلاقات الثقافية والعلاقات الدولية مفردات مثل حقوق الإنسان، والمـــرأة، والديمقراطية...إلخ.

والنقطة الأخرى المثيرة للاهتمام في حديث الدكتورة نادية مصـــطفى، هـــي اختلاف مستويات الحوار في العالم العربي الإسلامي ما بين ليبرالية، ورسميـــة، وقوميـــة وإسلامية. لكن هذا الاختلاف موجود أيضاً في الغرب، وهناك فرق شديد بيننا وبينهم؛ إن الغرب رغم اختلاف التوجهات فيه على المستويات الأهلية والمدنية والسياسية، فإنها تتفق على قيم مجتمعية شاملة، وهذا الاتفاق لا يوجد لدينا، فلم توضع المجتمعات العربية والإسلامية خلال كتلة تاريخية منسجمة من خلال التاريخ تؤسس لأصولية في الثقافـــة والاجتماع والسياسة، بحيث أنها تجعل هناك انسجام اجتماعي بـــين النـــاس، وبـــرغم اختلاف مسميات المؤسسات الأهلية في الغرب إلا أنهم متفقون جميعاً على قيم المجتمع كله (حرية، ديمقراطية، علمانية). ولذا عندما يجلس إلينـــا الغـــرب علـــى اخـــتلاف مستوياتهم ومستوياتنا، مدركين أنهم لن يخرجوا منا بشيء للاختلاف الشديد بيننا.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الخصوصية الثقافية حقيقة مؤكدة، و لم تقفز فجأة كما يعتقد البعض، حتى في داخل الكيان الإسلامي فهناك مشاريع ثقافية متعددة في إيران وشرق آسيا وغيرها، وموجودة منذ قيام العلاقات بين الحضارات.

**الدكتور أحمد المهدي**

أتفق كثيراً مع الدكتور نادية مصطفى في التحليل الذي أوردته، وسوف أحاول أن أحدث نوعاً من الامتداد، لماذا هذه الضبابية في الموقف الذي نتحدث عنه بين الغرب والحضارة الإسلامية، وبين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية.

في تصوري أنه ينبغي أن نفهم، وأن يفهم الآخرون، أن ما نتحدث عنه، أو ما يتحدث عنه كل طرف من أطراف الحوار الكلمات فيه ليست معنى في ذاتها، ولكن معانيها مستقرة في ذهن من ينشئ الحوار، وفي ذهن من يتلقى الحوار، وهما مختلفان.

ولن نستطيع في أي حوار أن نلتقي التقاءً تاماً، أو أن تتطابق وجهات نظرنا، لأننا نشأنا في ثقافة مرجعيتها الثقافية تختلف اختلافاً حاداً عن الثقافة الغربية، وثقافتنا تأمرنا وتناشد كل من ينتمي إليها، أن يجادل بالحسنى، وأن يعرف أن التدافع شيء في طبيعة البشر.

السؤال الذي أثيره، لماذا اختلفنا؟ والإجابة لأننا حتى الآن ليس لنا توجه واضح، لأنه لو لدينا بوصلة يمكن لنا أن نوجه بها في هذا الحوار، لاستطعنا، إن هذه القطاعات المختلفة، وهذه الفئات الموزعة، يمكن أن تلتقي حول عدد من الجوامع المشتركة التي يمكن أن نواجه بها الغرب.

إن أضعف نقطة في حياتنا، حينما نتحاور ينبغي أن نكون نداً لمن نحاور، فالأوضاع الداخلية في البلدان العربية أسوأ كثيراً من الأوضاع الداخلية في الثقافة



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغربية، ولذا فإن المحاور العربي يفر ويدور حول الحوار، ويلتمس كلمات، لأن الأوضاع غير مستقرة. الأوضاع ليست أوضاع تنبثق عن ثقافة واضحة في مستوياتها المختلفة، وهي الثقافة العربية الإسلامية. فالدولة لدى الغرب دولة مؤسسات، ولدينا الوضع مختلف الدولة دولة فرد الرئيس، والملك، أو السلطان. المؤسسات لديهم هي التي تشرع وتحكم وتفصل، ولا يوجد نظيرها لدينا.

إن الحقوق السياسية عند الغرب ليست حقوق تمنح من الحاكم، وإنما هي حقوق طبيعية استقرت لدى المؤسسات والأفراد، وتعمل في المجتمع، وكل ذلك مهدر في الثقافة الإسلامية الآن، وأقصد الثقافة التي تدين بها هذه الأمة، وليس معنى ذلك أن الإسلام هو هكذا، لأننا بعدنا عن الإسلام في كثير من النواحي فصرنا إلى هذا الوضع الذي نحن عليه. ولو أننا فهمنا ديننا حق الفهم، لاستطعنا تقديم نموذج في كل مرافق الحياة، يمكن أن يضارع وأن يتحاور مع النموذج الغربي. شكراً.

**المهندس: سيف الشربيني**

لدى بعض التعليقات والأسئلة. السؤال الأول هو: ما أولوية الحوار، هل هي الأهم، هل هي أكثر أهمية من التنمية والتصحيح؟

أنا شخصياً أقدر أهمية الحوار، ولكن في الحالة الراهنة التي نعيشها أرى عدم جدوى الحوار لضعف الأمة.

السؤال الثاني: ما هو مردود الحوار طوال السنوات السابقة؟

**الدكتور عمر دراج – هندسة القاهرة**

أتوجه بالشكر إلى الدكتورة نادية مصطفى على هذا الطرح الجيد، ولي على هذا الطرح بعض التعليقات ألخصها في النقاط الأربع التالية:



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**الأولى:** كيف يمكن إدارة حوار خارجي بيننا وبين الآخرين في الخارج، ونحن لا نستطيع في الأصل إدارة حوار داخلي لعدم وجود مقومات هذا الحوار. وأحسب أن ذلك أحد المبررات التي تبرر الاختلاف الكبير في الخطاب بيننا وبين الآخر.

**الثانية:** موضوع الحوار مثله مثل أي موضوع مستحدث نريد أن نخضعه للدراسة من منظور إسلامي، وكذلك الحوار يجب أن تكون هناك نظرة ودراسة إسلامية له. يجب أن يدرس من خلال وجهة نظر القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي.

**الثالثة:** كيف انقلب الحال وأصبحنا نحن بلاد الحضارات ننظر إلى دولة مثل أمريكا حديثة النشأة على أنها شعاع حضاري يمتد تأثيره إلى العالم كله، كيف حدث ذلك؟

**الرابعة:** ذكرت الدكتورة نادية مصطفى أن الجهد النظري الذي يبذل في الغرب مرتبط بسياسات تنفذ، كيف يمكن أن يصبح هذا الحال عندنا، في ظل انقطاع الصلة بين الجهود الفكرية، وصناع القرار السياسي.

**د. فيروز عمر – إسلام أون لاين**

بعد الطرح المفيد حول موضوع العلاقة بين الحضارات، تراءى لي سؤال من ثنايا حديث الدكتورة نادية حيث ذكرت أن الغرب هو الذي فرض علينا النظام العالمي الجديد، ثم العولمة، ثم حوار الحضارات أو صراعها، رؤيتي الخاصة التي أود أن أسمع ردًا عليها هي أن بعد انتهاء مرحلة ما عرف بالحرب الباردة، وتفرد أمريكا بحكم الكون إذا جاز التعبير، جعل ذلك الغرب وعلى رأسه أمريكا، مضطرًا إلى الحوار عندما وصل إلى تلك المرحلة. فكأن الغرب لديه أزمة حوار مثلنا نحن تماماً.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**مهندس/ خالد محمد أحمد**

من خلال تجربتي الخاصة أرى أن هناك ضرورة ألقيت على عاتق المسلم العربي بأن يقوم دائماً بالحوار لتوصيل رسالة الإسلام للناس، وهذا مطلب شرعي وتكليـــف شرعي. أيضًا سمعت أن ما ينقل إلينا من مصطلحات، يظن كثير من الناس بها خـــيراً، والبعض الآخر يتقبلها قبولا غير طيب، فالآخر قد يصدِّر إلينا ذلك إما نتيجة تفاعـــل حقيقي علمي عنده، أو يوجه إلينا من باب الهيمنة والسيطرة على الطرف الآخر.

منذ أن بدأ الإسلام نجد حقيقة أنه يعلن مبادئه على العالم، وأنه نظـــام لحيـــاة الإنسان على الأرض، ظهر له أعداء يحيكون له المكائد لنسف هذا النظام، الذي يحكم بين الناس بالعدل دون الأنظمة الأخرى.

من كل ذلك أحسب أن كل ما يقدم لنا هو هيمنة لنســـف أســـاس النظـــام الإسلامي، الذي يعلمه الجميع أن المسلمين لو أدركوا حقيقة دينهم سيسودوا العـــالم، وتعم المصلحة العامة للإنسانية، وتنقطع المصلحة الشخصية للآخرين.

**الأستاذ عبد الكريم العيوني – باحث**

تحيلنا هذه المحاضرة في الواقع إلى أمرين أساسين، وقد أختلف مع مـــا ذكـــره السادة الأفاضل قبلي في هذا الأمر لعدة أسباب. الســـبب الأول هـــو أن الآخـــر أي الغرب، له خطة استراتيجية لهذا العالم يسير عليها، على جميـــع المســـتويات الثقافيـــة والاقتصادية والسياسية والعسكرية. وبالتالي نحن الذين نغفل هذه النقطة ولا نضعها في الحسبان وأمام عيوننا سواء كنا نريد الحوار أم الصراع، وهذا الموقف ينتج عنه ســـبب آخر، هو أننا كذوات ليست لنا أداة أو خطة استراتيجية نستطيع بها أن نحاور الآخر. إذن فموضوع الحوار أو الصراع لا يجب أن نقف عنده لأنه عرض ونتيجة، مثل ما قبله النظام العالمي والعولمة، وأشباه ذلك كثير في القرآن الكريم. الأساس هو أن نبحث عـــن



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسباب، فلدينا تعدد في الاتجاهات، ليبرالية وإسلامية ويسارية. وتتعدد الاتجاهات أيضاً داخل الاتجاه الواحد، وهذا يتطلب منا محاولة النظر إلى الذات وبنائها بناءاً سليماً، وإحداث حوار ذاتي، أو حياتي، أو داخلي. ثم بعد ذلك نستطيع أن نحاور الآخر؛ لأنه لديه خطة استراتيجية على كافة المستويات ماض فيها لا يحيد عنها.

**د. عبد الرحمن النقيب**

ربما أيضاً يأتي التعليق مردداً لبعض الأشياء ومركزاً عليها، إن الحوار يقتضي فيما يقتضى نوع من الكفاءة بين المتحاورين. فإذا حضر قروي ساذج من القرية ليحاور أستاذ في العلاقات الدولية أعتقد أن الحوار غير متكافئ، أيضاً إذا حضرت مجموعة متنافرة أصلاً وليس لها هوية أو استراتيجية وذهبت تحاور من يخطط ومن يدبر ومن له رؤى، فنتيجة الحوار معروفة مسبقاً. إذا حضر من يمثل اختلافاً مع السلطة، فكيف تنقل صورة الحوار ومع من تحاور. وإذا جاء الآخر المتقدم علمياً وتكنولوجيا يحاورنا ونحن أضعف وأقل منه علمياً، كيف سيكون الحوار. كل هذه الأسئلة تشي بأن الجهد ينبغي أن يركز ليس على الحوار؛ وإنما على كيف تعاد صياغة الأمة من الداخل، كيف يحدث نوع من الحوار في الداخل لإحداث الهوية الواحدة، والثقافة الواحدة، والاستراتيجية الواحدة. كيف يحدث نوع من التمازج بين السلطة والشعب؟ كيف يحدث نوع من الرقى في الداخل حتى يستطيع أن يحاور في الخارج؟

كل هذه القضايا يجب أن تستحضر بشدة ونحن نتكلم عن الحوار وإلا أعتقد أننا نساق إلى المذابح الثقافية ولا ندرى.

**الأستاذ أحمد الضبع**

أعتقد أن الحوار الحالي مع الغرب يذكرنا بما فعله المسلمون الأوائل عند فتوحاتهم للدول الأخرى، في أنهم كانوا هم البادئون بالحوار برغم قوتهم. إلا أن الغرب



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يبدؤنا بالحوار إلا عند حاجته له لتحقيق مصالحه الخاصة به. وسؤالي هو هل ما تفعله أمريكا والغرب في حروبهم من إبادة وتقتيل ونفى، أسلوب حوار؟

**د. بهاء الأمير – طبيب وباحث**

أريد أن أبدأ من نقطة معينة، نحن نتحدث عن حوار وصراع، ونقول في بعض الأحيان يكون حواراً وفي البعض الآخر يكون صراعاً، وفى بعضها الاثنين معاً. المسألة هي لماذا الحوار؟ ولماذا الصراع؟ نحن نذهب في بعض الأحيان إلى أن الحوار أو الصراع هو هدف في حد ذاته، وهذه ليست الحقيقة. فالحوار أو الصراع هو مجرد وسيلة للوصول إلى هدف. أنا أقول إن الغرب له في بلادنا تحديداً –وليس في العالم على إطلاقه– أهدافاً محددة، في بعض الأحيان يستخدم الصراع نتيجة للظروف الدولية والتوازنات، أو أن أوضاعه مع عالمنا لا تسمح له بأن يتحاور، أو العكس في بعض الأحيان، أو يستخدم المستويين لتغطية أحدهما للآخر، أو يكمل أحدهما الآخر. وهدف الغرب مختلف عما يعلنه في ديباجات المؤتمرات والمنتديات واللقاءات والحوارات ولكن في المسار العام له، الذي هو مسار – لا يتغير – هو في مرحلة يصارعنا وفي مرحلة يحاورنا، وفي مرحلة يصارعنا ويحاورنا، لكن مساره العام لا يتغير أبداً. هو له هدف ذو وجهين، وهذا الهدف موجود منذ مجيء الغرب إلى بلادنا، ولكن صاغه صياغة واضحة مؤتمر (بانمن)، وهدف الغرب هو طي العالم القرآني، بمعنى إزالة العالم الذي أنشئ بالقرآن وتكون به، ولكي ينجز هذا الهدف لابد من وجود ما يحل محل ما سوف يزيله متمثلاً في الدولة اليهودية، التي تشمل مشروع توراتي لإحلاله محل المشروع القرآني الذي كان يجب طيه. المشكلة أننا ليس لنا هدف فنحن ندخل الحوار على أنه الهدف والوسيلة والاستراتيجية والخطة وهو كل شيء وهذه ليست حقيقة.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبإيجاز فإن الموضوع كله عبارة عن صراع بين لب قرآني، ولب توراتي إنجيلي، قد يكتسي في بعض الأحيان بأبعاد اقتصادية أو غطاء سياسي، أو يتخذ مظهرًا اجتماعيًا، أو في شكل علم أو مؤتمرات، ولكن في النهاية ينتهي إلى هذين اللبين.

والغرب عنده مشكلة بالنسبة لنا يقولها توينبي في تاريخ المنطقة وهو أن الغرب يرى أن الإسلام انتزع منه قلبه القديم، منطقة الشام ومصر، فالغرب أيقن أن انتزاع هذه المناطق لم يكن بالقوة المسلحة؛ بل لتهافت وتفكك البنى الداخلية لعقائد المسيحية وعمقها التوارتي. هذا هو لب الموضوع.

**الأستاذ مدحت ماهر – باحث**

بعد الشكر لأستاذي الكريمين، أود أن أنطلق من عندهما لأصل إليهما، فقد علمتني أستاذتي الدكتورة نادية خلال تتلمذي على يدها أن من المشهود حالياً في مجال العلاقات الدولية تصاعد دور ما يعرف بـ "الفواعل من غير الدول أو من دون الدول"، كما علمني فضيلة الدكتور عليّ أن من الواجب أن يسبق الفهمُ القولَ أو التقريرَ. وفي هذا فإن من الملاحظ هو اشتباك الفهم فيما يخص مفاهيم الـ "نحن" أو "الأنا" ومفاهيم "الغير" أو "الآخر"، ونحن هاهنا في هذا الرواق العريق نتحاور في هذه المرحلة: مرحلة الفهم، فهم العلاقات بين الحضارات، تلك التي يقع في قلبها جدلية الأنا والآخر.

عندما آتي إلى الأنا أو النحن -وهو ما يهمني- وأدقق النظر فيه أجده أصنافاً وقطاعات شتى، منها قطاع كبير يمكن أن نعرّفه بالخاملين أو المتفرجين، وهم قطاع كبير من الأمة ويخرج عن نطاق مفهوم "الفاعلين" الذي نعنيه. ثم نجد في "الفاعلين" مستويات وفرق. فهناك الرسميون ومفكروهم، وهناك الأكاديميون في مواقعهم، وهناك من هم أهم وأخطر ضمن هذا الـ "نحن"، هناك الفريق الذي أثار الآخر، والذي أثار



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجميع وهو جزء منا، وفي حين يعاملنا الآخر على أساس أننا هو أو أنه كل نحن، فإننا نمضي إلى إغفاله أو التغافل عنه بل ونتبرأ منه أيضا، إن هذا الإغفال لهذا الجزء المؤثر يجعل الصورة غير مكتملة.

أستاذتي الدكتورة نادية حين تكلمتِ عن الاقترابات العربية من المسألة الحضارية وقفت عند طائفة المفكرين من أشباه الرسميين ومن الأكاديميين من أمثال السيد ياسين وغيره... لكن أين أسامة بن لادن؟ الغرب يتحدث مع الإسلام والمسلمين على أنهم تنظيم القاعدة أو على الأقل على أنهم آباؤه،...أين خطاب هؤلاء الإسلاميين الذين أثاروا المسألة بشكلها الحالي. وأنا أتكلم عن "النحن" في حالتي الصراع والحوار مع الآخر، لابد أن أدرك أن هذا الآخر لا ينظر إليّ كما أحب أن يراني، إنه يضخم هذا الجزء المثير مني الذي أتبرأ منه، والواجب في مرحلة الفهم الوعي بهذا الجزء، حتى لو تبرأنا منه لكن لا يكون هذا على حساب الإدراك.

والدكتور بهاء وهو يتكلم الآن عن"النحن" شعرت بالاشتباك بين ما يمثله المثقف وما يمثله الرسمي، لاشك أن هناك تشاركا لكن خطوط الفصل أو التمايز أيضاً موجودة. ومن ناحية أخرى، فهم الآخر يستدعي التفصيل فعادة ما نعني بـ "الرسمي" منه، وهذا وإن كان قد صادف صحة على المستوى العملي إلا أنه على مستوى الفهم لابد ألا يقع في خانة الإغفال. من المهم جدًا الاهتمام بالفواعل من غير الدول، مع اعتبار وجود الدول بلا شك، لكن الواجب ألا نخلط بين الـ "نحن" في هذه القاعة حيث نبغي الفهم، وبين "النحن" الفاعل من الرسميين وغير الرسميين، فلسنا نحن الذين يحددون العلاقة.

من ناحية أخرى ليس الأمر أمر صراع أو حوار بمعنى الكلمة، فالتقابل يقع بين الصراع والتعاون، فأسامة بن لادن مثلاً هو أكثر أطراف الـ "نحن" كلاماً وتحاوراً مع الغرب، ومع ذلك فحواره صراعي غير تعاوني بل وعدائي، أما نحن فموقفنا مموّه، فنحن



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا نعلن حبنا للغرب، وبالمثل لا نعلن له كراهية أو عداوة، ومن ثم فالغرب في النهاية لا ينظر إلينا كما نرى أنفسنا أو نعبر عن أنفسنا، كما لا يعنينا كلنا بالحوار أو بنفس المعنى للحوار، بل يقدم أكثر من حوار لأكثر من طرف.

**د. علي جمعة**

لي تعليق بسيط على مجمل ما قيل في حكايتين أسردهما عليكم. أما الحكاية الأولى، فهي عن لجنة الحوار في الفاتيكان التي أنشئت عام ١٩٦٤ في صورة وزارة (وزارة الحوار) والمقصود بالحوار، هو الحوار بين الأديان والثقافات والحضارات المختلفة من أجل الارتداد إلى دين المسيح عليه السلام. وهكذا هو نص المادة رقم ٣٠ من اللائحة التي تنظم هذه الوزارة. وفي أحد اللقاءات أشار سفير الفاتيكان إلى مكان يقال له قدس الأقداس لا يدخله أحد. فدخلنا إليه لأننا زوار وعندما دخلنا وجدنا ورقة تقول أننا لا نريد الارتداد إلى دين المسيح، وأن أساس حوارنا هو التفاهم والبحث عن المشترك؛ أي ضد المادة رقم ٣٠ من اللائحة التي تنظم بها الوزارة.

وهذه اللائحة منشورة ومترجمة إلى العديد من اللغات وتوزعها سفارة الفاتيكان في مصر. ثم وجدت صورة بعرض الحائط موجود بها البابا وأمامه غاندي ثم طابور طويل خلف غاندي، والذي لم يرد في التاريخ أنه زار الفاتيكان. ثم تفحصت الصورة ووجدت صورة الملك فيصل رحمة الله عليه، وهو أيضاً لم يزر الفاتيكان. ففهمت أنهم في ظنهم ممثلو الأديان في العالم يقفوا أمام بابا الفاتيكان (قدس الأقداس) بعد الحوار حتى يدخلوا في معمودية السيد المسيح عليه السلام. بسذاجة قد تكون مفرطة أو غير مفرطة قلت لوزير حوار الفاتيكان (اريتري)، هل زار غاندي الفاتيكان؟ قال: لا هذا حلم، ومن الأحلام ما يتحقق. وهذا أحد مناحي الحوار، وهل هذا هو الحوار الذي يتكلم عنه الأستاذ/ خالد يوسف، وأننا لا نعي البيئة التي خرجت منه مثل



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقوق الإنسان والمرأة وغيرها، أبداً. نحن درسنا وثائق الأمم المتحدة منذ نشأتها، ودرسنا بنودها بنداً بنداً، وكلمة كلمة، وعرفنا كيف نشأ هذا في أذهانهم، وكيف نخاطبهم وبعضهم معنا، وبعضهم ضدنا، وهم ليسوا على قلب رجل واحد، ولا على مجتمع واحد، وهناك جماعات غير حكومية ضد الجندر، وهناك أيضاً بعض الشواذ جنسياً يخرجون معنا في قضايانا السياسية.

**القضية الثانية:** هي أن المسلم أصبحت له جهات مختلفة، فمرة يعامل على أنه منتمٍ إلى منطقة سياسية، وهي منطقة طانجا جاكرتا، غانا فرغانا. ومرة يعامل على أنه منتمٍ حضارياً، ومرة يعامل على أنه منتمٍ دينياً إلى هذه العقائد، ومرة يعامل على أنه منتمٍ إلى قواعد مختلفة.

**أما** الحكاية الأخرى، فكنت أتحدث مع أحد الكتاب الذين يكتبون عن ما بعد الحداثة، وتكلمنا عن أمريكا، فقال: ليس هناك شيء اسمه أمريكا، فأمريكا عبارة عن مناح مختلفة شعب، حكومة، مخابرات، صحافة، أساتذة جامعة، أمن قومي، متخذ للقرار السياسي، وكل منحى من هذه المناحي السابقة مختلف عن الآخر، فماذا تعنون بأمريكا؟ فقال له أحد الحاضرين: أنا أريد أن ألقيك من النافذة الآن من ارتفاع ثلاثة وعشرون دوراً، فما رأيك، ثم أنزل سريعاً حتى أتلقاك، فأنت تدعى عدم وجود أمريكا، إذن ليس هناك إلقاء. نسبية مطلقة اخترعها نيتشه عام ١٩٠٠، ثم مات مجنوناً. ولقد طبقت الثورة الجنسية في هوليود بالفعل، وأصبحت تجارة الجنس لها توزيع وتجارة لها أرباح تساوى مليارات الدولارات، وهي أرقام خيالية وخرافية، لكنها علامة فارقة في التاريخ بينت أن كلام نيتشه الذي بدأه في النسبية طبقوه بعد ستين عاماً، و لم يخرجوا من نصرانيتهم.

أترك المجال الآن للأستاذة الدكتورة نادية مصطفى للتعليق على المداخلات، فلتتفضل.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**تعليق أ.د. نادية محمود مصطفى، على المداخلات.**

شكراً لحضراتكم على هذه المداخلات القيمة.

أريد باختصار أن أوجز رسالتي التي وردت في عرضي السابق، والتي لا تختلف عن الاتجاه العام للمداخلات، حيث تكون لدي انطباع عام عن المداخلات، أن واقع الأمة الإسلامية الحالي في ظل ضعفها المادي، وفي ظل وجود طرف آخر، أعني الغرب بمكوناته، واقع مستهدف، ولدينا مثالب في واقعنا العربي والإسلامي على الصعيد الداخلي والبيني فكرياً وسياسياً، وهذا في حد ذاته عائق أساسي. إن الواقع مشوه، وعدم وجود حوار داخلي مسبق، هذا بحد ذاته عائق أمام أي فرص لحوار مع آخر قوي منظم ولديه إمكانيات وقدرات، وخطة استراتيجية، وبالتالي هذا الحوار محكوم عليه بالفشل.

لا أختلف على الإطلاق مع خلاصة استنتاجاتي مما طرح من أسئلة، وهذا أحد أهم دواعي الحاجة للفهم، واعين لما يطرح علينا، ولكن في الوقت نفسه لا نتنصل منه، إما أكون لا واعي لما يطرح علي من الآخر ومن الداخل، أو أنزلق في الاعتذار والذوبان والفخ وهذا جائز. ومن الممكن أن يكون واقع في قطاعات وملتقيات ومستويات عديدة يحدث فيها حوارات، وخاصة على المستويات الشبابية والطلابية التي تخرج في أمور منظمة لجهات أجنبية منظمة ذات إمكانيات عالية، ويخرج إليها شبابنا وطلابنا دون إعداد مسبق من الداخل، ودون حصانة، ودون وعي، ويذهبون إليها تحت مسميات الحوار من أجل الثقافة والسلام والتسامح...إلخ.

أهم الدواعي للاهتمام بالتفكير والرصد والبحث، أن نفهم ونعي ما يجري حولنا كمنطلق أساسي من منطلقات محاولة البحث عن المطلوب فعله.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أختلف مع الشق الثاني الذي يرى أنه لا فائدة ولا داعي للحوار. بل يجب أن يكون هناك اهتمام بالحوار، ولكنه ليس هو البديل عن التنمية والإصلاح والتغيير. بل هذه هي الشروط المسبقة لإحداث حوار حقيقي وفاعل. ولكن حتى تتحقق هذه الشروط المسبقة سنظل على الأقل كمفكرين، وباحثين ومثقفين قاصرين عن أداء مهام بحكم اهتماماتنا وبحكم تكليفنا بها أم لا. نحن في حاجة إلى فهم وإدراك أن هناك إمكانية للحوار في مستويات معينة وفي حدود معينة وفي شروط معينة حتى تتحقق أهداف معنية، ولكن في ظل سياق معين يحتاج إلى تغيير ضروري.

أما القسم الآخر من المداخلات فقد وضعته في ثنائيات:

**الثنائية الأولى**: الأصل في الإسلام، وواقع المسلمين.

**الثنائية الثانية**: الآخر بمكوناته فهو ليس آخر مصمت، والذات بمكوناتها ليست مصمتة.

**الثنائية الثالثة**: الرؤى الفكرية للمسلمين حول الحوار من عدمه، وهي رؤى متأثرة بالواقع ومتطلباته، والتأصيل الإسلامي لمفهوم الحوار.

**الثنائية الرابعة**: القدرات والمهارات والشروط اللازمة للحوار موجودة على الصعيد المعنوي والمادي، أم غير موجودة.

**الثنائية الخامسة**: الحوار كبديل عن التنمية والإصلاح والتغيير، أم لا.

**الثنائية السادسة**: الحوار كعملية فكرية مستمرة دائماً لأي مرحلة من مراحل التاريخ، والحوار كأداة للسياسة الخارجية في مرحلة التأزم.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لو نظرت إلى هذه الثنائيات وحاولت الإجابة عنها، ستكون إجابتي خلاصة عامة لعرضي السابق، وهو أننا في حاجة إلي الحوار في ظل مستويات معينة، وبإمكانيات معينة، ولأهداف معينة.

لو بدأت **بالثنائية الأولى**: الأصل والواقع، فمما لا شك فيه أن واقع المسلمين مخزٍ، لذا سأكون في حيرة من أمري وأنا أحاور على المستوى الرسمي، أو الفكري، أو الثقافي، أو المدني، وأحاور حول ماذا؟ حول واقع المسلمين، أم حول الأصل في الإسلام؟

وحين نتعرض الآن لحملة شديدة الضراوة حول المرجعية الإسلامية ذاتها، وليس واقع المسلمين، فنحن لا نواجه باتهامات لواقعنا المتخلف فقط، كما كان يحدث من قبل، ولكن حدث من قبل أيضاً اتهامات للمرجعية الإسلامية ذاتها، ولطبيعة الإسلام ذاته لكونه مسئولاً عن تخلف وعنف المسلمين. كل ذلك كان في دوائر استشراقية معينة. الخطر الآن أن هذا الأمر لم يعد قاصراً على دوائر استشراقية، أو نخب أكاديمية كانت تقوم بهذا. ولكن الأمر اتسع خلال الخمس عشرة سنة الماضية، وانتقل اتهام المرجعية الإسلامية ذاتها إلى قطاعات من الخطابات الرسمية، التي لم تعد حتى تراعي اعتبارات الدبلوماسية، لتخفي ما هو مكنون، ولكن يعلن عنه كما في خطابات كثير من المسئولين الأمريكيين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ حتى الآن.

الخطر الثاني، أن هذا الأمر أضحى مبثوثاً على القاعدة العامة من الشعوب تصل إليه من خلال أساليب الاتصال والتواصل المختلفة ووسائل الإعلام المتطورة جداً، بحيث لا نضمن فقط أن الشعوب الغربية لا تعرف شيئاً عن الإسلام، أو عن الآخر؛ بل بدأت تعرف أموراً مشوهة ليس عن المسلمين والعرب فقط، بل عن المرجعية الإسلامية ذاتها وهذا أمر يتخطى دواعي تصدي المفكر أو الباحث أو المسلم من أنه يقوم بخدمة



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأهداف السياسية والاقتصادية لوطنه، إلى أمور أكثر من ذلك إلى حد التكليف، لكل مسلم في موقعه أن يتصدى لهذا الأمر في قنوات ومستويات حوارية معينة.

وبالتالي الحديث عن النموذج الحضاري الإســـلامي، وخصـــائص الحضـــارة الإسلامية، واختلافها عن خصائص النموذج الحضاري الغربي، وخصـــائص الحضـــارة الغربية، نحن جميعاً نعرفه. ولكن هل هذا الاختلاف ذو الأبعاد المعرفية والمنهجية يحـــول دون قيام حوار. بالعكس اختلاف الثقافات والحضارات هو أحـــد متطلبـــات إقامـــة الحوار، وإلا ما كان هناك حاجة لحوار.

والشيء نفسه بالنسبة لإشكالية الآخر والذات. أتفق تماماً إننا كذات في حاجة من خلال حوارنا مع الآخر لابد أن نعرف ذاتنا أولاً. الذات العربية الإسلامية الراهنـــة ممزقة بين أكثر من اتجاه وتوجه، حيث لا يوجد لديها على الأقل ذلك التيار المشـــترك الذي يوجد في الغرب بالرغم من التنوع الكبير لديهم فلهم نموذج حضاري متفق عليه، وانطلاقهم دائماً من خلاله – وأقصد بالنموذج الحضاري أبعاده المادية والمعنوية القيمية – ينطلقوا من أساسه ومن نطاقه، وإن حدثت تنويعات من حوله. ولكن نحن في أزمة الآن، وهي الأزمة التي نتحدث عنها منذ عدة قرون، هي أزمة النمـــوذج الحضـــاري الإسلامي القائم، ما التشوهات التي أصابته، وكيف يمكن إصلاحها وتجديـــده؟ وهنـــا تختلط الروافد الوافدة مع الروافد الأصيلة، وتحدث عملية التفاعل التي لم تثمر ثمرة جيدة نهائية حتى الآن، وتعوق عملية الحوار إذا تسألنا مَنْ يحاور مَنْ؟

**أما الثنائية الأخرى**، فهناك تقصير واضح من واقع الأصول الإسلامية لمفهـــوم الحوار، وعلاقته بالحوار مع الآخرين. إن مفهوم الآخر لم يكن موجوداً علـــى صـــعيد الحضارة الإسلامية وجوده في الحضارة الغربية واهتمامه به. كذلك إشكالية نحن والآخر لم توجد في الحضارة الإسلامية، أيضاً مفهوم التسامح هـــذا لا يوجـــد في الحضـــارة الإسلامية، لأن الحضارة الإسلامية لم تقم على عنصرية أو عنف ضد الآخـــر. هـــذه



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفاهيم وإشكاليات وجدت في الحضارة الغربية بحكم طبيعتها وثنائياتها في النظر إلى نفسها والآخر، وهي ليست من خصائص الحضارة الإسلامية على الإطلاق لا فكراً ولا ممارسة عبر التاريخ باستثناءات قليلة جداً في فترات اشتداد الخطر الخارجي وضعف الدولة الإسلامية، فقد يحدث هذا وهو ليس قاعدة في الحضارة الإسلامية.

أتفق مع الدكتور عبد الرحمن النقيب أن الأمر يحتاج إلى قدرات ومهارات معينة في مجال الحوار، وأنا لمست الكثير في حوارات سابقة، فإذا كان د. على جمعة لمس من ملتقيات الحوار الأهداف الخفية وراء الحوار غير المعلن عنها أو المعلن عنها بطريقة ما، فأنا لمست في ملتقيات كثيرة معنى أن يكون المحاور العربي والمسلم ذو قدرات، قدرات لغوية، وقدرات في معرفة اللاهوت والأديان الأخرى، فحين تحاور لا تأخذ موقف الاعتذار والدفاع عن الإسلام، بقدر ما تأخذ موقف الهجوم أحياناً حول أبعاد في عقائد أخرى بها عنصرية وتعصب.

المحاورون الغربيون يعرفون في اللاهوت لديهم، كما يعرفون في الشريعة الإسلامية، وفي التاريخ الإسلامي، وكما يعرفون عن واقع الدول الإسلامية، وواقع المسلمين في الغرب. فيجد المحاورون المسلمين أنفسهم أمام محاورين أكثر إلماماً منهم بالطرف الآخر. حتى على مستوى الطلاب، عندما يأتوا إلى بلادنا يكونون على مستوى عال جداً من الثقة بالنفس، ومستوى عال من القدرات التدريبية على الحوار، فهذا واقع حياتهم اليومي في بلادهم على عكس طلابنا وشبابنا في العالم العربي والإسلامي.

و كل ما سبق يعني أننا يجب أن نفهم الإمكانيات والسلبيات، ويجب أن نعرف أن الحوار باعتباره عملية مستمرة وليست سياسة رسمية نتبناها كاعتذار ودفاع، أو استحواذ للآخر. ولو نظرت إلى الحوار على أنه أداة من أدوات السياسة المصرية،



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعربية، والإسلامية. هذا مستوى واحد، وعليه مثالب نابعة مـــن حجـــم الضـــغوط والقيود التي على الحكومات والمستويات الرسمية في حوارها مع الآخر الذي يفاجئهـــا دائماً بالمبادرات والدعوة إلى الحوار.

لكن هناك مستويات من الحوار ممكن أن تفعل. فلو انتظرنا حتى يحدث التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وحتى يحدث التغيير العالمي الذي تتعدل فيه موازين القوى الدولية ليس من منطق الأمور وطبيعتها، ولكن أُقْدِم على الحوار واعية بكل هذه الخلفيات.

ولا يبقى لي إلا أن أشكر مركز الدراسات المعرفية والأخوة الحاضرين.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com